وَمشى العرَضْنةَ حاسراً عن رأسه[١] فكأنه إذ ذاكَ قرْدٌ أشمطُ
ويُشيرُ إذْ يَهدى بَعشر أصابع وَيدُور مثل أبى الرّياح[٢] ويلبطُ
وكلامه متقطـــع بســـعاله كالعير يبهر فى النهيق فيعفطُ[٣]
فكأنه بضَجيجـــه وعجيجـــه ذُو جنـــة بقيوده يَتخبطُ

وهذه الصورة المعاصرة تكاد تقع من اللفظ والأسلوب والصورة مواقع الشعر القديم . فهى تشبه رأس الرجل برأس التيس المسموط وتجعله فى شكله كالقرد ، ثم ترسمه كاللعبة المعروفة . أو كالعير ينهق حين يسعل ، بل إنه كمجنون يتخبط فى قيوده . وللشاعر نفسه صورة أخرى فى هذا اللون يقول فيها :

جَهمٌ كظلّ الصخر مَنْ يَرهُ يَقل هُوَ وَجهُ مَيتْ بالسخام مُحنطُ[٤]
فإذا تَمعر أو تكشر ضاحكا[٥] فكأنه من وجهـــه يَتغوّطُ
وإذا تنحنحَ فى الكلام حسبتهُ ثَوْراً يخوُر على العليق وَينحطُ[٦]

فهو مفرطٌ فى سماجته ، غليظٌ فى هيئته كظلّ صخرة ضخمة ينضح كالميت مُطلى بالسخام وحنط ، فإذا ضحك كشر عن وجه كأنه يتغوط ، وإذا تكلم فكأنه ثورٌ يخور على عليقه وهو يصيح بصوته المنكر . ولعلّ سماجة الرجل لا تختلف فى هذا الوصف عن سماجة زملائه من غلاظ الجسد والأكباد جُمعت له البشاعة كما جمعت لأقرانه قبله ، فتناولها المعاصر بالألوان المتندرة الساخرة ، فقال حافظ إبراهيم فى رجل عظيم البطن ضخم البدن :

عطّلتَ فنّ الكهرباء فلم نَجدْ شيئاً يعوّق مسيرها إلاكا
تَسرى على وجه البسيطة لحظةً فتجوبُها وَتحارُ فى أحشاكا

---

(١) العرضنة : البغى فى المشى من النشاط ، وإذا كانت مشيته فى شق فيها بغى من نشاطه .
(٢) أبو الرياح : شخص صغير من حديد يوضع فى أعلى البنيان ويدور باتجاه الرياح ، وقد عرف قديماً فى شعر البحترى .
(٣) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء ، وعفطت الضأن : نثرت بأنوفها كما ينثر الحمار ، وعفط ضرط .
(٤) السخام : سواد القدر ، والفحم .
(٥) تمعر : تغير ، وعلته صفرة ، وأصله قلة النضارة .
(٦) نحط : صوت من الإعياء .